

بسم الله الرحمن الرحيم

علاقة المسلم بوالديه

١٤١٣/٣/١٤ هـ

الشيخ/ ناصر بن محمد الأحمد

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله... أما بعد:

سبق أن تحدثنا معكم في مناسبات سالفة عن علاقة المسلم بربه، ثم عن علاقة المسلم بنفسه، وهذا هو الجزء الثالث، عن علاقة المسلم بوالديه. وذلك لأهمية هذا الموضوع، مما نشاهده ونسمعه في واقعنا، من جفوة كثير من الأبناء مع والديهم، فأحببت أن يكون هذا الموضوع تذكيراً لِنَفْسِي أولاً ثم لكم، عسى أن تحرك قلوبنا وتهز مشاعرنا وتوقظ غفلتنا لما يجب علينا من حقوق تجاه والدينا.

قضى الله أن لا تعبدوا غيره حتماً	فيا ويح شخص غير خالقه أما
وأوصاكموا بالوالدين فبالغوا	ببرهما فالأجر في ذاك والرحما
فكم بذلاً من رافةٍ ولطافةٍ	وكم منحا وقت احتياجك من نعمة
وأمك كم باتت بتقلك تشنكي	تواصل مما شقها البؤس والغما
وفي الوضع كم قاست وعند ولادها	مُشَقّاً يذيب الجلد واللحم والعظما
وكم سهرت وجداً عليك جفونها	وأكبادها لهفاً بجمر الأسي تحمي
وكم غسلت عنك الأذى بيمينها	حنواً واشفاقاً وأكثرت الضماً
فضيعتها لما أسنت جهالة	وضقت بها ذرعاً وذوقتها سما
وبت قرير العين ريان ناعماً	مكباً على اللذات لا تسمع اللوما
وأمك في جوع شديد وغربة	تلين لها مما بها الصخرة الصماً
أهذا جزاها بعد طول عنائها	لأنت لذو جهل وأنت إذا أعمى

أيها المسلمون: يقول الله - سبحانه وتعالى -: **{وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا}** [(٣٦) سورة النساء].

أيها المسلمون: لقد خلق الله الثقيلين لعبادته وحده، وأمرهم سبحانه بتحقيق ما خلقوا له، وما أمروا به ليحقق لهم تعالى ما وعدوا به، وعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وبعد أن أمرهم تعالى بعبادته أمرهم أمر إيجاب وإلزام بالإحسان إلى الوالدين بقوله: **{وبالوالدين إحساناً}**، وقوله - عز وجل -: **{وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}** [(٢٣، ٢٤) سورة الإسراء]. يروى عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا تقبل

وروى البخاري ومسلم عن أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- قالت: ((قدمت عليّ أُمي وهي مشركة في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فاستفتيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قلت: قدمت على أُمي وهي راغبة، فأصل أُمي، قال: نعم صلي أُمك)).

لئن كان بر الوالدين مقدّمًا	فما يستوي في برّه الأبُّ والأُمُّ
وهل يستوي الوضعان وضع مشقة	ووضع التناذ ذلك بُرءٌ وذا سُقْمٌ
إذا التفقت نحو السماء بطرفها	فكن حذرًا من أن يصب قلبك السهم
وفي آية التأفيف للحر مقنّع	ولكنه ما كل عبدٍ له فهم

أيها المسلمون: وليس بر الوالدين مقصوراً على الحياة فقط، فإن من تمام البر وكمالهِ أن يبر الولد والديه حتى بعد موتهما.

فعن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي -رضي الله عنه- قال: ((بينما نحن جلوس عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ جاء رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرّهما به بعد موتهما؟ قال: نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما))، وروى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن رجلاً من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلم عليه عبد الله بن عمر، وحمله على حمارٍ كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه، قال ابن دينار: فقلنا له أصلحك الله إنهم الأعراب وهم يرضون باليسير، فقال: عبد الله بن عمر إن أبا هذا كان وُدَّ أبيه. وقيل لعلي بن الحسين: إنك من أبر الناس ولا تأكل مع أمك في صفحة، فقال: أخاف أن تسبق يدي يدها إلى ما تسبق إليه عيناها فأكون قد عفتها.

فأين نحن أيها الأخوة في هذا الزمان من هذه النصوص التي تحتنا أن نبرّ بأصدقاء آبائنا، ونحن والعياذ بالله مقصرون حتى في حقهما الشرعي الواجب علينا.

ويا للأسف أننا في زمن أكثر أهله لا يرى للوالدين حقاً، بل يستهين بهما وينقصهما، وربما شتمهما أو ما هو أعظم من ذلك، فهذا ومع الأسف أنك تشاهد في هذا الزمان المظلم أن الوالدين هم الذين يخدمون، والولد هو المخدم. والأُم، حالها يدمي القلب ويقطع الفؤاد إلا من رحم الله -عز وجل-.

فاتقوا الله عباد الله وأحسنوا إلى الوالدين ما أمكن لكم الإحسان، وإن حسبتم أنكم كافأتموهم أخطأتم في ذلك الحسبان، وكونوا معهما في غاية الأدب والإحترام، واحذروا سوء الأدب عندهما، وإلا هويتم في هوة شقاء مالها من قرار خصوصاً الأُم، فإن حقها أعظم، وما بذلته لك أكثر وأكثر.

لأملك حق لو علمت كبير	كثيرك يا هذا لديه يسيرُ
فكم ليلة باتت بتقلك تشنكي	لها من جَواها أنةٌ وزفير
وفي الوضع لو تدري عليك مشقة	فكم غُصصٍ منها الفؤاد يطير
وكم غسلت عنك الأذى بيمينها	ومن ثديها شربٌ لديك نَمير
وكم مرةٍ جاعت وأعطتك قوتها	حَنُواً وإشفاقاً وأنت صغير

فضيعتها لما أسنت جهالة
فأهاً لذي عقلٍ ويتبع الهوى
وطال عليك الأمر وهو قصير
وواهاً لأعمى القلب وهو بصير
فأنت لما تدعو إليه فقير
فدونك فارغب في عميم دُعائها

اللهم فاغفر لنا ولوالدينا، اللهم اغفر لهم وارحمهم وعافهم واعف عنهم، وأكرم نزلهم وأوسع مدخلهم، اللهم لا تفتننا بعدهم، اللهم اجعلنا وإياهم ممن قلت فيهم: **{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ}** [(٢١) سورة الطور]، لهم إنا نستغفرك ونتوب إليك...

الخطبة الثانية:

الحمد لله... أما بعد:

أيها المسلمون: فإن منزلة بر الوالدين في الإسلام عظيمة ومرتبته عالية، وآثارها كثيرة، ففيها الثواب الجزيل في الآخرة، أما في الدنيا فالجزاء بمثله من الأبناء، وكذلك من آثار بر الوالدين تفريج الكربات، ن كان في كربة يا عباد الله فليبر والديه، ولعل حديث ابن عمر في الصحيحين معروفة في قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانطبقت عليهم الصخرة، فتوسلوا إلى الله تعالى بصالح أعمالهم أن يفرج عنهم، فقال أحدهم: ((اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أعقب قبلهما أهلاً ولا مالاً - أي لا أشرب ما أحلبه في المساء ولا أشرب أهلي قبلهم - فجننت مرة وقد ناما، فلبثت والقحح في يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت قليلاً)) وتوسل صاحبه بصالح أعمالهما فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون.

وكذلك يا عباد الله، فإن من آثار بر الوالدين سعة الرزق وطول العمر وحسن الخاتمة، وماذا يريد الإنسان؟ وماذا يتمنى المرء بعد هذا سعة في الرزق وطول في العمر وحسن الخاتمة؟! عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم - قال: "من سره أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه".

وبر الوالدين يا عباد الله أعلى صلة الرحم؛ لأنهم أقرب الناس إليك رحماً.

وبعد كل هذا، وغيرها من الآثار الطيبة في الدنيا والآخرة، نجد والعياذ بالله من يقدم زوجته على أمه، بل ويحب زوجته أكثر من أمه، وإنني والعياذ بالله التقيت مرةً برجل يرضى أن تسب أمه، ولا يرضى أن تسب زوجته، فإننا لله وإنا إليه راجعون، من أنكاس الفطرة وقلة الحياء ورقة الدين.

أيها المسلمون ، يا عبد الله:

فلا تطع زوجةً في قطع والدة
فكيف تنكر أمّاً ثقلك احتملت
وعالجت بك أوجاع النفاس وكم
وأرضعتك إلى حولين مُكَمَّلةً
عليك يا ابن أخي قد أفنت العُمراً
وقد تمرَّغت في أحشائها شهراً
سُرَّتْ لِمَا ولدت مولودها ذكراً
في حجرها تستقي من ثديها الدُّرراً

ومنك يُنجسها ما أنت راضعه
وقل هو الله بالآلاف تقرأها
وعاملتك بإحسان وتربية
فلا تفضل عليها زوجةً أبداً
والوالد الأصل لا تتكر لتربية
فما تؤدي له حقاً عليك ولو
منها ولا تشتكي نتناً ولا قدرا
خوفاً عليك وترضى دونك السترا
حتى استويت وحتى صرت كيف ترى
ولا تدع قلبها بالقهر منكسرا
واحفظه لا سيما إن أدرك الكبرا
على عيونك صبح البيت واعتمرا

فاتق الله يا عبد الله، يا من أبكى والديه، يا من أبكى أبيه، وأحزنهما وأسهر ليلهما، وحملهما أعباء الهموم، وجرعهما غصيص الفراق ووحشة البعاد، هلا أحسنت إليهما وأرضيتهما وأضحكتهما، يبكيان عليك وأنت صغير اشفاقاً وحذراً، ويبكيان منك وأنت كبير خوفاً وفرقاً، فهما أليفاً حزن وحليفاً هم وغم، فلما بلغت موضع الأمل، ومحل الرجاء، قلت أسيح في الأرض أطلب كذا وكذا ففارقتهما على رغبةما باكيين، وتركتهما في وكرهما محزونين، فإن غاب شخصك عن عيونهما لم يغب خيالك عن قلوبهما، ولأن ذهب حديثك عن أسماعهما، لم يسقط ذكرك عن أفواههما، ولطالما بكيا ولم يذوقا غمضاً إن تأخرت عن الرواح في المساء، فكيف إذا أغلقا بابهما دونك، وأبصرا خلوا مكانك ففقدا أنسك، ولم يجدا رائحتك، فكان ملاذهما سح الدموع، فصار الولد خبيراً وكل غريب ولدهما، وكل ميت هو لهما، وسل عن حديثهما إذا لقيا إخوانك، وأبصرا أقرانك ولم يبصراك معهم، فهناك تسكب العبرات، وتتضاعف الحسرات.

فنسأل الله - عز وجل - أن يطيل في أعمارهما بالبر والعمل الصالح، وأن يتوفاهما مسلمين، اللهم اغفر
لأمهاتنا...